جيش السيبوي في الهند ودوره في ثورة عام ١٨٥٧ م

المدرس الدكتور
إلهام محمود كاظم
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

جيش السيبوي في الهند ودوره في ثورة عام ١٨٥٧م

المدرس الدكتور
إلهام محمود كاظم
جامعة الكوفة / كلية التربية للبنات

مقدمة :

إن التوسع التجاري لشركة الهند الشرقية الإنكليزية في شبه القارة الهندية[١]، على أثر الامتيازات التي منحها لهم الإمبراطور المغولي جيهان كير (١٦٠٥- ١٦٢٧)[٢]، وحصولها على مراكز تجارية في سورات عام ١٦٠٨ وفي ماسولبياتام عام ١٦١١، الذي جاء متزامنا مع التوجهات السياسية التي تفوقت على الدوافع الاقتصادية وصدور المرسوم الملكي عام ١٦٦١ الذي وسع من صلاحيات الشركة وخولها إعلان الحرب أو السلم مع أي أمير غير مسيحي باسم التاج [٣].

وتتويجا للموقف المساند من الملك البريطاني شارلس الثاني (١٦٦٠- ١٦٨٥)، للشركة منح جزيرة بومباي لهم عام ١٦٦٨ مقابل عشر باونات كإيجار سنوي [٤] علما إن الملك حصل عليها اثر عقد معاهدة تحالف وصداقة مع ملك البرتغال الفونسوا السادس ترسخت بزواج شارلس الثاني من الأميرة البرتغالية كاثرين بركنزا (أخت ملك البرتغال) عام ١٦٦٣ ونصت المادة الأولى منها على تخلي ملك البرتغال للملك البريطاني عن جزيرة بومباي كجزء من دوطة زواج ملك بريطانيا من أخت الملك كاثرين [٥].

وبذلك أصبحت جزيرة بومباي مستوطنة بريطانية وأحضر المستوطنون من بريطانيا وتمت المصادقة على المال اللازم لتطوير وتحسين حصون وحاميات الجزيرة. وشرع قانون بعدم السماح لأكثر من عشرين

جندي للعودة الى أوربا في كل عام، فبلغ عدد حراسها حوالي ٩٠ رجلا وضمت الحامية حوالي ٤٠٠ رجل وذلك في عام ١٦٧٤ وارتفع العدد الى ٦٠٠ رجل في عام ١٦٨٤[٦] وتجدر الإشارة الى إن المركز الرئيسي للشركة انتقل من سورات الى بومباي لما عانته التجارة في سورات من سياسة شيفاجي ومن حربه ضد ملك بيجابور التي أثرت سلبا على نشاط الشركة [٧] كما إن الشركة كانت في حاجة ماسة لمرفأ أمن للوقوف بوجه المنافسين والحروب الجانبية مع البرتغال وهولندا وفرنسا .

وهذا ما دفع الشركة إلى توسيع في قوتها المسلحة لتتمكن من مواجهة الأخطار التي تواجهها لاسيما تأثر شبه القارة الهندية بالصراع الأوربي بعد تحول المحيط الهندي الى منطقة صراع بريطاني – فرنسي سبقه صراع بريطاني هولندي، أعقب ما كان قبله من صراع مرير مع البرتغال[٨]. ومما سهل على بريطانيا توسيع نفوذها في شبه القارة حملات الفرس المتكررة عليها في النصف الأول من القرن السادس عشر، والأفغان عام ١٧٦١ عندما تمكن احمد شاه القضاء على جيش المهراتا في معركة باني بات بالقرب من مدينة دلهي [٩] مما أدى الى إضعاف الإمبراطورية المغولية.

من جانب أخر كانت فرنسا تكافح من اجل السيادة والتفوق لملئ الفراغ الذي أوجده تشتت وضعف إمبراطورية المغول، فأسست شركة الهند الشرقية الفرنسية عام ١٦٦٤ بمبادرة من قبل وزير المالية الفرنسي كولبير(١٦١٩-١٦٨٣)[١٠] تلاها تحول مهم للنفوذ التجاري الفرنسي في شبه القارة تمثل باستيلائها على موريشيوس (ايل دي فرانس) عام ١٨١٥ وتحويلها الى قاعدة لنشاطها البحري في الشرق [١١]، وبعد وصول جوزيف دوبليكس (١٧٤١ – ١٧٥٤) الى القاعدة حقق الحلم الفرنسي في السيطرة على أراضي شبه القارة وأصبحت بوند شيري عام ١٦٧٤ قاعدة للإدارة الفرنسية تلاها إنشاء محطات تجارية في كاريكال وماهي وشاندرناكور وكادت الشركة الفرنسية أن تهدد

مركز بريطانيا على نحو خطير[١٢] .

لقد كانت الشركتان البريطانية والفرنسية في شبه القارة على خلاف دائم بسبب تأثرهما بحرب الوراثة النمساوية[١٣] (١٧٤٠- ١٧٤٨) وحرب السبع سنوات (١٧٥٦- ١٧٦٣)[١٤] وجاءت النتيجة تفوق بريطاني على جميع الصعد. وما ذكره رمزي ميور إلا دليل على ذلك حين قال[١٥] :

" لم تشيد إمبراطورية في التاريخ من دون تخطيط مثلما
حصل في تشييد الإمبراطورية البريطانية "

أما على الصعيد المحلي فإن المعركة التي خاضها روبرت كلايف (١٧٥٧- ١٧٦٣) والمعروفة بمعركة بلاسي[١٦] في ٢٣حزيران ١٧٥٧ ضد جيش النواب سراج الدولة إلا دليل على التفوق البريطاني وسيطرتها على أراضي تزيد عن ٨٨٠ ميل مربع. واستمرارا للتفوق البريطاني استولت الشركة على بوند شيري عام ١٧٦١[١٧] وبهذا دمرت الشركة أمال فرنسا في بناء إمبراطورية في الهند. وقد أشار كلايف الى انجازاته حين قال أمام المجلس العمومي[١٨] :

" أرجو أن تنظروا الى ثمار معركة بلاسي ... إن الشركة
حازت في الهند على إمبراطورية اكبر مساحة من مساحة
أي دولة في أوربا. . "

وفي عام ١٧٦٤ دخلت الشركة في عهد الحاكم هكتور مونرو في حروب مع نواب إقليم البنغال شجاع الدولة يسانده الإمبراطور شاه علم الثاني ١٧٥٩- ١٨٠٦) كانت النتيجة انتصار ساحق للشركة [١٩]، وحصولهم على حق الديواني[٢٠] الذي جعلها تسيطر على اغلب الضرائب المفروضة على الشعب الهندي.

وبذلك أصبحت شركة الهند الشرقية قوة إقليمية في شبه القارة الهندية لما تمتلكه من قوة عسكرية وبحرية فضلا عن نظمها المالية والإدارية التي جعلت منها دولة يرأسها حاكم عام وشملت مراكز تجارية مهمة ورئيسة في مدراس،

سورات، ماسولياناتام وكلكتا ومحطات تجارية أخرى في اقليم البنغال.

وكانت تدافع عن أهم مراكزها التجارية في مدراس وكلكتا المحميتان من قبل حصن القديس سان جورج وحصن فورت وليم بتحشيد الجنود البريطانيين والهنود الذين انتظموا في مجاميع مستقلة عديدة مثلت البدايات الأولى لتأسيس جيش السيبوي في الهند.

تشكيل جيش السيبوي في الهند:

كلمة سيبوي (Sipoi) هي النطق الهندي للكلمة التركية سيباهي (Sipahi) وتعني فارس والتي تعرب أحيانا الى سباعي. وتعني أيضا الهنود المدربين كمشاة على أيدي الضباط الأوربيين[٢١].

ومع بداية القرن السابع عشر جندت الشركة عدد من السكان المحليين للعمل كحراس أو مايسمى حاليا " بواب " في مراكز الشركة التجارية الرئيسة. . وكانت كسوتهم وتسليحهم يتم بنفس طريقة تسليح مرافقي نبلاء الهند، كما تم تعليمهم لإظهار الاحترام والهيبة لموظفي الشركة أثناء مرافقتهم في شوارع ومدن الهند [٢٢]. إلا أن أول ظهور لهم كجنود كان في عام ١٧٢٠ في ساحل مالا بار التي تمثل إحدى المستوطنات الفرنسية [٢٣].

وعلى اثر الأحداث التي حصلت في أوربا أثناء حرب الوراثة النمساوية، ومن ثم محاصرة القوات الفرنسية لحصن القديس سان ديفيد وحصن فورت سان جورج، جندت الشركة عددا من السكان المحليين لحماية المراكز التجارية بالاعتماد على قوات هندية مدربين كمشاة على أيدي ضباط أجانب [٢٤]، خاصة إذا علمنا إن اغلب الجنود المرسلين من بريطانيا تعرضوا الى الإصابة بالأمراض المعدية بسبب الأوضاع الصحية المتردية وارتفاع درجة الحرارة في البلاد [٢٥]. وقد دعا هذا الى التفكير بجدية لإعادة تنظيم قوات الشركة في الهند التي بدأ الضعف يهيمن عليها .

وتم العمل على إعادة تنظيم قوات الشركة الدفاعية عام ١٧٤٨ عند وصول الرائد سترينجرلورنس الى حصن القديس سان ديفيد كقائد عام لعموم قوات الشركة في الهند، بتشكيل أول فرقة من السيبوي في مدراس بقيادة القائد الهندي محمد يوسف ، على غرار ما كان متبع في المستوطنات الفرنسية، بلغ عددهم مايقارب ٢٠٠٠ جندي حولتهم الى أداة في يدها لضرب كل المنافسين لها من أوربيين ومحليين [٢٦]، منها على سبيل المثال صدهم للهجوم الفرنسي على كودالور ١٧٤٧ واركوت عام ١٧٥١ وحصار تراجنبولي عام ١٧٥٣ ،(٢٩) فحصلوا على الإطراء من الرائد لورنس بسبب الشجاعة والقوة والصلابة التي اتصفوا بها وتفوقوا على معظم المجندين الأوربيين في الهند (٢٧). وبدأت أهميتهم تتضح أكثر بسبب ارتفاع تكاليف المجندين الجدد المرسلين من بريطانيا، إذ كلفوا الشركة حتى رسوهم في الهند حوالي ٣٠ لك لكل رجل، ومن جهة أخرى ارتفاع نسبة الوفيات بين المجندين الأوربيين بسبب حرارة الجو وظروف العيش الغير صحية (٢٨). ولأجل الإبقاء على قوة الشركة فقد اعتمدت بشكل رئيسي على المجندين الهنود الذين احتلوا مكانة وأهمية كبيرة في التنظيمات الدفاعية في المدن الرئيسية الثلاث بعدما لقنوا بعض المهارات والتكتيك الأوربي، بإمرة ضباط هنود وبإشراف بريطاني.

وقد اثبت جيش السيبوي للشركة قدرتهم الفائقة على مواجهة التحديات التي تعترضهم من القوى المحلية منها الانتصار الذي تحقق لهم في معركة بلاسي ٢٢٩ عام ١٧٥٧بقيادة روبرت كلايف الذي استمر بعد تلك المعركة في تجنيد العناصر المحلية، أظهرت كفاءة عالية في المعارك التي خاضتها[٢٩].

وتجدر الإشارة الى إن كلايف نظم جيش السيبوي على شكل كتائب يشرف عليها عدد من الضباط البريطانيين علما إن قائد الكتيبة كان أمر هندي يشكل مع مساعده مايعرف اليوم " مركز قيادة الكتيبة " بإشراف كابتن

بريطاني ومفوضين اثنان ورائد بريطاني.

وأعطي لهذه الكتائب ملابس وأسلحة تشبه تلك التي يستخدمها المجندون الأوربيون في المواكب والاستعراضات، يقف القائد الهندي والكابتن البريطاني معا على منصة التحية وخلفهما مباشرة يقف المساعد الهندي[٣٠].

وشكل من مجاميع الجنود الأوربيون في مدراس فوجا أصبح يعرف فيما بعد " أول حملة البنادق في مدراس " وتم تعيين كابتن المدفعية ليشرف على كل المجاميع في المدن الرئيسية الثلاث كما أعيد تنظيم سلاح المدفعية إذ استبدلت أسلحة الجنود بمجموعة من المدافع. وتبنى في عام ١٧٥٩ نظام الكتائب عندما نظم ٧٠٠٠ من السيبوي في سبع كتائب بعدما كانت في عام ١٧٥٧ كتيبة واحدة فقط. وقبل حلول عام ١٧٦٤ كان هناك ١٩ كتيبة من السيبوي في جيش البنغال[٣١]. يتضح من خلال ذلك إن القوات المسلحة في الهند تتكون من تشكيلات عديدة ومختلفة تقف في مقدمتها فرقة مجندي الملك ثم مجندي الشركة من الأوربيين وأخيرا مجندي الشركة من الهنود السيبوي. وهذا يعني إن لجنود الملك لهم الأسبقية على جنود الشركة .. وان أعلى مرتبة يمكن أن يصل إليها الموظف الهندي أثناء خدمته في الشركة هي قائد أو أمر.

وشهدت الفترة مابين ١٧٧٢ - ١٧٩٦ زيادة في عدد أفراد جيش السيبوي بسبب كثرة الحروب التي دخلتها بريطانيا مع القوى المحلية المهراتا، الكارناتك وحروب ميسور من جهة وانخفاض أسعارهم ،فضلا عن فعاليتهم وسهولة تجنيدهم من جهة أخرى. ففي سنة ١٧٩٦ بلغ عدد جنود السيبوي العاملين في خدمة الشركة حوالي " ٥٧" ألف منهم " ٩ " ألاف في جيش بومباي و" ٢٤" ألف في كل من البنغال ومدراس. بينما كان عدد المجندين الأوربيين التابعيين للملك وللشركة بلغ حوالي ١٣ ألف " وتلاشى وجود القائد الهندي في كتائب السيبوي، حيث أصبحت الوحدات تقاد من قبل ضباط أوربيين يتم اختيارهم خصيصا من الفوج الأوربي خاصة بعد تحول

جيش البنغال الى جيش الحكومة المركزية وأصبح القائد العام، مسئولا عن جيوش الشركة في الهند [٣٢]. وفي العام نفسه تم تشكيل كتائب المدفعية التي كانت ذات كيان مستقل سابقا، تحولت الى أفواج ذات كتائب مزدوجة فتم تخصيص خمس كتائب لمدراس والبنغال " اثنان للأولى وثلاثة للثانية " وأعطيت بومباي ستة مجاميع من سلاح المدفعية، كما طالبت البنغال بالاحتفاظ بثلاث كتائب من المشاة الأوربيين بينما طالبت بومباي ومدراس بأربعة أفواج من الفرسان المحليين [٣٣] .

وقد تم هذا كله في وقت عزمت فيه بريطانيا إتباع سياسة توسعية اعتمدت على ضم الولايات الهندية نفذت في عهد الماركيز ريتشارد ولزلي (١٧٩٨- ١٨٠٥)[٣٤].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر زادت أهمية جيش السيبوي واعتمدت بريطانيا على السكان المحليين في تكوين هذا الجيش لينفذ سياستها في الهند، لأنها لا تستطيع أن تمد جيشها باستمرار من أوربا بسبب بعد المسافة، وجسامة التكاليف ومن جهة أخرى انشغال بريطانيا بالحروب منها حرب القرم ١٨٥٣- ١٨٥٦) والحرب مع بلاد فارس والصين للفترة مابين (١٨٥٦- ١٨٦٠))، وتشير المصادر البريطانية إن نسبة القوات المحلية بلغت أكثر من ١٢٩ ألف هندي يقابلها ٢٢ ألف بريطاني في إقليم البنغال وحدها [٣٥]. وقد تنبه حاكم بومباي اللورد الفنستون الى خطورة تركيب الجيش بقوله :

(إن عناصر تدمير الإمبراطورية البريطانية قد تكون موجودة في الجيش) [٣٦].

وهكذا نشأت صفوف الجيش الهندي، الذين كانوا موزعين في مدراس وبومباي والبنغال وأغلبيتهم من المسلمين والهندوس ذوي الطبقات العليا وممن يعتزون بتقاليدهم الطبقية، وساهمت في تحويل الشركة الى قوة سياسية كبرى في الهند جعلت من بريطانيا إمبراطورية عظمى، فبدونهم ليس

بإمكان أية دولة أوربية أن تسيطر على الشعب الهندي ذي الكثافة السكانية العالية والذي يتميز أبناؤه بحبهم للقتال، من جانب أخر تمكنت بريطانيا استخدام دبلوماسيتها وتقنيتها العسكرية من إقناع هذا الشعب الانضمام الى صنوفها، وحولتهم الى أداة في يدها ضد منافسيها الخارجيين وضد مواطنيها وأمرائها المحليين في الداخل.

دور جيش السيبوي في ثورة عام ١٨٥٧:

تُعد ثورة عام ١٨٥٧م من أهم الأحداث التاريخية في شبه القارة الهندية، لأنها كانت بداية عظيمة للكفاح ضد الاستعمار البريطاني للحصول على الاستقلال، ووصفت الثورة، من وجهة نظر بريطانيا، عبارة عن تمرد جنود السيبوي على شركة الهند الشرقية، لذا أطلقوا عليها اسم (Mutiny)، ويبدو إن السبب في ذلك إن الثورة بدأت بتمرد الجنود السيبوي ثم أصبحت ثورة شعبية رهيبة لمشاركة المدنيين مسلمين وهندوس فيها بكل فعالية، وامتد لهيبُها إلى جميع أنحاء البلاد ووقعت اشتباكات ومعارك دامية مع جنود الشركة [٣٧] .

لكن ماهو السبب في قيام هذه الثورة التي بدأها جنود السيبوي وساندها الشعب الهندي؟

إن علامات عدم الارتياح والاستياء والغضب بدأت تظهر بين جنود السيبوي منذ عام ١٨٠٦ في مدراس بسبب تدخل الحاكم العام جورج بارلو (١٨٠٥- ١٨٠٧) في عادات وتقاليد الهنود. كما حصل تمرد سيبوي أخر في عام ١٨١٣ خلال فترة حكم منتو الأول (١٨٠٧- ١٨١٣) عندما رفض الجنود محاولات موظفو الشركة فرض المسيحية عليهم [٣٨]. وفي عام ١٨٢٤ رفض جيش السيبوي (الكتيبة رقم ٤٧) في باراك بور(Barrackpur) التوجه الى بورما(Burma)، عندما صدر مرسوم رسمي من قبل الحكومة البريطانية بهذا

الشأن، لأن نظام الطبقات في الديانة الهندوسية ينص على خروج الشخص من الانتماء إلى الطبقة التي ينتمي إليها بعد عبوره للبحار لذا أعرض الجنود الهنود عن الإذعان لهذه الأوامر. فتم تسريح هذه الكتيبة وإعدام كل من تورط في عملية عدم تطبيق هذه الأوامر الصارمة. وقد تأثرت المشاعر الدينية للجنود الهنود الذين شاركوا في الحملة العسكرية ضد أفغانستان بشكل أساسي أيضاً[٣٩].

وكان لسياسة اللورد دلهوسي (Lord Dalhousie) الحاكم العام في الهند دافع كبير للقيام بالثورة فإلى جانب سياسة ضم المقاطعات وإلحاقها بممتلكات الشركة، طبق مبدأ الليبس (سقوط حق الملكية وحرمان الأمراء الهنود تبني أولاد لولاية العرش عندما لايكون لهم ذرية)، الذي هدد بشكل أو بأخر سلطانهم وجردهم من امتيازاتهم الوراثية[٤٠]. ويؤكد المؤرخ البريطاني ماجمدار على ذلك بقوله[٤١] :

" عند نهاية كل إمارة يحل الرجل الإنكليزي محل الحاكم المحلي تحت اسم المندوب. "

وان التخوف أصبح اشد في جيش السيبوي بعد اطلاعهم على الرسائل الموجهة إليهم من قبل اللورد دلهوسي التي تؤكد إن الهند دولة لها دين واحد هو الدين المسيحي وإصداره قانونا يحمي الهنود الذين تحولوا الى المسيحية[٤٢].

كما تم التعرض الى عادات وتقاليد الهنود منها إلغائهم تقليد السوتي (إحراق الأرامل مع الزوج المتوفى) وتشريع قانون حق الأرملة بالزواج ومنع زواج الأطفال، مما اثر على جنود السيبوي في التوفيق بين الولاء لرؤسائهم وبين الولاء لعقيدتهم وطائفتهم[٤٣] .

ومما زاد الطين بله صدور قانون الخدمة العامة لعام ١٨٥٦ الذي نص على أن تكون جميع الوحدات خاضعة لقانون الخدمة العامة لما وراء البحار،

وان أي رفض يعد تمردا على قررات الحكومة البريطانية(٤٤).

أما السبب المباشر للثورة هو إدخال نوع جديد من العتاد المشحم بزيت البقر المقدس عند الهندوس وشحم الخنزير المحرم عند المسلمين، الذي يتطلب استخدامه الاستعانة بالأسنان قبل إدخاله في البندقية من نوع (Enfield)، فرفض جنود السيبوي (مسلمين وهندوس) استعمال هذا النوع من السلاح ورفعوا شعار " الدين في خطر"(٤٥).

وبدأت تظهر بعض علامات الاستياء والغضب في بعض المعسكرات التي يتواجد فيها جنود السيبوي حيث أن الكتيبة الوطنية في برهام بور (Berhampur) التي رفضت استخدام الأسلحة الجديدة قد سرحت في مارس ١٨٥٧م. كما أن «منغال بانديه« (Mangal Pande) أحد جنود الكتيبة الوطنية الرابعة والثلاثين خطا خطوة إضافية ففتح النيران على رئيس ضباط الجيش فتم إلقاء القبض عليه وتسريحه وتسريح كتيبته أيضاً، وبالمقابل سرحت كتيبة أوده السابعة للسبب نفسه (٤٦) .

كما أن نبأ مزج دقيق العظام في دقيق القمح كغذاء للجنود، والأمر باستعمال الأسلحة الجديدة التي استخدمت فيها شحوم الخنازير قد عزّز قيام الجنود بالثورة ضد الشركة، فقد أصبحوا يشعرون بالخطر الدائم على دياناتهم. وأن جميع الخطوات التي اتخذها حكام الشركة منذ ذلك الحين لم تكن إلا للقضاء على الديانة الهندوسية ومبادئها وإهانة المسلمين بشتى الوسائل(٤٧) .

وبذلك بدأت الثورة بطابع عسكري ثم اتسعت لتشمل كل فئات الشعب الهندي. ففي صباح يوم ١٠مايس عام ١٨٥٧م، بدأت النار تشتعل من مدينة «ميرت« لتعلن عن بدأ ثورة جماهيرية ضد الشركة الإنكليزية، فأودت بحياة بعض المسئولين البريطانيين(٤٨). فكانت بحق ثورة جامحة لإنقاذ البلاد من الاستعمار الأجنبي، شملت أكثر نواحي الهند، ولكنها كانت أشد لهيبًا في العاصمة دلهي ووصلت نيران هذه الثورة إلى ضفة نهر جمنا، ومنها إلى القلعة

الحمراء في دلهي حيث دخل الثوار هذه القلعة عن طريق «باب راج غات« وهم ينادون بالإمبراطور المغولي «شاه بهادور ظفر الثاني« الذي كان سجين شركة الهند الشرقية، حيث كان حكمه محدوداً في القلعة الحمراء وبريطانيا تحكم البلاد باسمه ونيابة عنه، فمثله كمثل الملك المُكبَّل بالحديد وطلب منه الإذن على ما يريدونه وليس لديه إلا أن يكون منقاداً لما يرغبون. فقد جعلوه قائداً للثورة ورمزاً للوطنية الموحدة والكفاح الشعبي، ونادوا به ملكاً للهند(٤٩).

وقاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته وباسمه، ينظرون إليه كزعيم للجهاد الوطني والديني، وينظرون إلى دلهي كعاصمة للحكومة الهندية الدائمة، واستطاع الثوار أن يسيطروا على مدينة دلهي وقُتِل سايمون فراسر (Simon Fraser) الوكيل السياسي البريطاني وعدد من الجنود المرافقين له، ودُمِّرت المكاتب العامة والمؤسسات الحكومية ونهب خزائن الدولة، وأُشْعِلت النيرانُ على المحاكم والبيوت، وفُتِحت أبواب السجون لأن المدنيين كانوا يتمتعون بأساس اجتماعي وطيد يشتمل على جميع طبقات الشعب (٥٠).

كما أن احتلال مدينة دلهي واعتبار الإمبراطور «بهادور شاه ظفر« كإمبراطور للهند أعطى هذه الثورة دواعي سياسية إيجابية للقيام بالثورة، وأوجد مناخاً جديداً لتجمع الثوار .ووقع الاختيار على «مرزا مغول« (ابن بهادور شاه ظفر الثاني) ليكون قائداً للجيش إلا أن عدم كفاءته قد خلقت بعض المشاكل. ولم تتحسن هذه الأوضاع إلا بعد قدوم جيش يزيد على ١٤ ألف رجل بقيادة «الجنرال بخت خان« الذي كان يعرف ويدرك استراتيجيات الحرب جيداً ويتقن فنونها الأساسية. فحاول في بداية الأمر أن يقوم بتحسين وتعزيز الروابط الأخوية بين المسلمين والهندوس فطلب من «بهادور شاه ظفر الثاني« أن يصدر حكماً بحظر ذبح الأبقار في عيد الأضحى المبارك احتراماً لمشاعر الهندوس لها ولإيجاد التجانس والتآنس فيما بينهما، الذي أدى دوراً هاماً في اشتراك الهندوس والمسلمين معاً في هذه الثورة ضد البريطانيين (٥١) .

وفي غضون شهر من السيطرة على مدينة دلهي، انتشرت هذه الثورة إلى المناطق المختلفة في البلاد نحو كانبور، ولكناؤ، وبنارس، والله آباد، وبريلي، وجغديشبور، وجانسي. وامتازت نشاطات الثوار بكونها معادية للبريطانيين(٥٢).

ففي كانبور حيث وقع الاختيار على نانا صاحب الابن الذي تبناه القائد باجي راو الثاني، والذي حُرِم الحصول على لقب العائلة ونفي من مدينة بونا، واستقر بالقرب من مدينة كانبور. كما أن بيقوم حضرت محل قد سيطرت على منطقة لكناو، علماً بأن الشعب كان متعاطفاً مع النواب المعزول حيث أن ابنه برجيس قادر ادعى بأنه هو النواب، ونظم الحكم الإداري بتقسيم المناصب الحكومية الهامة بالتساوي بين المسلمين والهندوس. وفي مدينة بريلي فإن خان بهادور خليفة الحاكم السابق لروهيل كهند قد مُنِح القيادة وكان يعيش في ظل البريطانيين، ولم يكن مهتماً بهذه الثورة في بداية الأمر وحذر رئيس الجيش من الانضمام إلى هذه الثورة؛ ولكن عندما اندلعت نيران الثورة تأهب بقيادة جيش يزيد على ٤٠ ألف جندي وقاوم البريطانيين بكل حماس. أما في بهار فإن كمار سينغ مالك أراضي جغديشبور، قاد الثورة ضد البريطانيين هناك حيث أنه لم يخطط أبداً في المشاركة في هذه الثورة إلا أنه لم يتمالك نفسه في الانضمام إليها بعد أن وصلت هذه الثورة إلى أراه (Arrah) من دينابور(Dinapur) (٥٣).

وفي مدينة جانسي قادت راني لكشمي باي الثورة،لأن اللورد دلهوسي (Lord Dalhousie) منع ابنها الذي تبنته من تولي أمور حكومة الولاية، وحاولت أن تستعيد حكومتها بكل وسيلة، لكنها عندما أدركت عزم البريطانيين تأهبت لهم بالمرصاد وانضمت إلى الثورة فكافحت وحاربت البريطانيين حتى لقيت مصرعها وكتب اسمها في سجل التاريخ(٥٤) .

كما أن الثورة لم تنحصر أبداً في هذه المراكز الهامة فقد بل امتدت إلى

جميع كتائب جيش السيبوي الموجودة في البنغال وبعضها في بومباي، علمًا بأن كتيبة مدراس هي الوحيدة التي لم تشترك في هذه الثورة. خاصة بعد محاولات البريطانيين الجادة لتحطيم جميع أديان المجتمع الهندي من أجل إنجاز مشروعهم الديني المتمثل في إجبار الجنود الهنود، المسلمين والهندوس ،على اعتناق الديانة المسيحية[٥٥].

إن سخط الثوار واستيائهم على البريطانيين لم يكن نتيجة للمشاكل العسكرية والدينية فقط حيث إن بعض المسئولين البريطانيين حذروا دالهوسي (Dalhousie) من ظهور نتائج وخيمة بسبب سياسته الخاطئة التي كان يمارسها إلا أنه تمادى في ذلك ولم يصغ إلى تلك التحذيرات الموجّهة إليه[٥٦].

إن ظهور هذه الثورة الشعبية ضد الحكومة البريطانية كانت طبيعية، نظرًا لنظام الحكم البريطاني السيء الذي أثر سلبًا على مصالح جميع طبقات المجتمع الهندي. كما أن الضرائب الكبيرة التي فرضتها الحكومة البريطانية على الفلاحين أثرت على أوضاعهم بشكل سيء للغاية حيث أن شركة الهند الشرقية البريطانية لم تكن ترغب إلا في الحصول على المصالح الذاتية بغض النظر عن تفاقم أوضاع هؤلاء الفلاحين وإصابتهم بالفقر والمشاكل العديدة الناتجة عن تلك السياسات الخاطئة [٥٧].

كما سبب الحكم البريطاني مشاكل عديدة لأصحاب الحرف اليدوية حيث أن السياسة البريطانية كانت لا تهتم بالحرف اليدوية الهندية والصناعات المحلية بل كانت تسعى في ترويج بضائعها فقط، كما كان بعض المسلمين والهندوس يشعرون بأن الإنكليز يحاولون تحطيم عقائدهم الدينية وثقافتهم تحطيمًا جذريًا من خلال السياسات الخاطئة التي كانوا يمارسونها[٥٨] .

وبالرغم من عدم وجود أية خطة مسبَّقة لتنظيم هذه الثورة، فإن هذه الثورة بدأت تتخطى مراحل متقدمة، وذلك بترتيب صفوف رجال الثورة بعد أن

قام الثوار بالسيطرة على مدينة دلهي حيث بدأ بعض أمراء الولايات المجاورة بمد أيديهم لمساعدة هذه الثورة والانضمام إليها تدريجيًا. وقد اعترفت جميع الصفوف الثائرة والمساهمة في هذه الثورة بقيادة شاه بهادور ظفر الثاني لها. ولمدة سنة كاملة حاولت الثورة أن تواجه الحكم البريطاني بكل صلابة إلا أنها كانت تفتقر إلى الأسلحة والمعدات الحربية لمقاومة هذا العدوان ؛ لأن كل ما قد استولى عليه هؤلاء الثوار من أيدي البريطانيين لم تكن لتساعدهم في مواصلة المشوار طويلاً. لذا اضطروا إلى مواجهتهم بالسيوف والخناجر أيضًا، فيما

كان الجيش البريطاني يمتلك أحدث أنواع الأسلحة النارية نحو الدبابات والمدفعيات والمدرعات والصواريخ. . الخ. وكان يتفوق عليهم في الفنون الحربية أيضًا(٥٩) .

كما استطاع هؤلاء الثوار أن يجدوا تأييد معظم الشعب لهم، ماعدا بعض التجار و الحكام الهنود الذين حاولوا إحباط هذه الثورة وتأييد البريطانيين لاعتقادهم بأن الشركة ستحافظ على مصالحهم الذاتية، فقاموا بعقد اجتماعات عديدة في مدينة كلكتا وبومباي من أجل إخماد نار هذه الثورة وإخفاقها.

ورغم كل ذلك فإن الثوار حاولوا ما في وسعهم من أجل تحرير البلاد حيث لقي الآلاف منهم مصرعهم، وسقطت مدينة دلهي في بداية الأمر وذلك في ٢٠ أيلول ١٨٥٧م بعد حروب استمرت أكثر من ستة أيام وألقى القبضُ على زعيم الثورة بهادور شاه ظفر الثاني ونفي إلى رانجون عاصمة بورما. وبذلك استطاعت الحكومة البريطانية أن تقضي على هذه الثورة وتتغلب وتسيطر عليها تدريجيًا؛ لأن دلهي كانت تُعْد المركز الوحيد لمواصلة هذه الثورة ضد البريطانيين. وبعدها استطاع الجيش البريطاني من السيطرة على كل مركز تلو الآخر، وقُتِلَت جانسي راني ملكة جانسي في ١٧ حزيران ١٨٥٨م. وقال الجنرال روز (Rose Huge) الذي تغلب عليها: "هنا قضينا على السيدة التي

كانت تُعْتَبر واحدة من أبطال هذه الثورة "[٦٠] .

كما أن «نانا صاحب« رفض الاستسلام وهرب أخيرًا إلى النيبال وذلك في بداية عام ١٨٥٩م، وبالرغم من تقدم سن «كنوار سينغ« فإنه كان لايزال يكافح ضد البريطانيين حتى لقي مصرعه في ٩مايس ١٨٥٩م، أما تانتيا توبيه(Tantia Tope) الذي قاد الحروب مثل العصابات ضد البريطانيين حتى حزيران ١٨٥٩م قد خانه أحد أصحاب الأراضي، فألقى القبضُ عليه وقُتِل على أيدي البريطانيين[٦١] .

ولما أخفقت هذه الثورة انتقم البريطانيون من القائمين بالثورة انتقامًا شديداً، وبطشوا بالهنود شعبًا وأمة، وقاموا بمذابح عديدة جددت ذكرى مذابح جنكيزخان وهولاكو. واضطهد المسلمون عقب فشلها، وصودرت أملاكهم، وهدمت بيوتهم ومساكنهم وأصبحت ثكنات للجيوش، وشرد المواطنون، ورحب الهندوس بالاستعمار فتسلموا الوظائف، وحصلوا على الثروة، واشتروا الأراضي حتى لم يبق للمسلمين سوى ٥٪ من الأراضي التي كانوا يملكونها من قبل، وظهرت خطة بريطانيا على الواقع للتفرقة بين المسلمين والهندوس، وقد كتب احد المؤرخين نقلا عن قائد القوات البريطانية اللورد النبر تأكيده لهذه السياسة حيث قال[٦٢]:

" لايمكن الإغضاء عن حقيقة جلية وهي أن الأمة
الإسلامية معادية لنا بطبيعتها، فالبرنامج الحقيقي عندنا
أن نبتغي مرضاة الهندوس"

ويشير في موضع أخر الى المحاولات البريطانية لاستمالة الهنود الهندوس فيقول[٦٣]:

" في إرضائهم تكمن قوتنا، وفي امتناعهم سلامتنا، وفي
عرفانهم مكافأة مثلى لنا. "

وبدأ البريطانيين يتبعون سياسة فرق تسد على أسس قوانين مدروسة

وخطط مرسومة، علماً بأن الهدف من إتباع هذه السياسة لم يكن منحصراً إلا للقضاء على المسلمين وإحباط معنوياتهم فاتبعوا كل السبل والطرق المُؤدِّية إلى تنفيذ مآربهم. بخصوص ذلك يقول المؤرخ البريطاني (Singh)[٦٤] :

" لقد حافظنا على وجودنا من خلال ضرب أقسام الهند ببعضها "

وحاولوا إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية بشتى الوسائل فضاعفوا ديونهم وساعدوا الهندوس على انتزاع أملاكهم، وسدوا في وجوههم كل الوظائف ووضعوا العراقيل المادية أمام التجار. وامتنع المسلمون من إرسال أبنائهم وإلحاقهم بالمدارس الغربية التي أنشأها البريطانيين على أسس النظام الغربي ليحولوا بين الشباب المسلم وبين التربية في هذه المدارس خوفًا على عقليتهم وروحهم ودينهم، فازدادوا بعد هذا الاحتلال شدة في هذه المقاطعة لأجل الحفاظ على دينهم وروحهم بالبعد عن هذه المدارس. ومن هذا المنطلق. تأخرالمسلمون تأخراً واضحًا في التعليم عن زملائهم في الوطن، وأصيب المسلمون بنكسة ظاهرة في كل نواحي حياتهم [٦٥].

وأصبح المسلمون أبغض الناس في الهند للحكومة البريطانية فقتل البريطانيون ألوفًا من المسلمين، ونصبوا المشانق في الشوارع وصلبوا عدداً كبيراً من الناس، فدفع المسلمون ثمنًا باهظاً لجهادهم،، وأصبح نصب عينيهم أن يستأصلوا جميع المسلمين ويبيدوهم عن آخرهم، ويلقي أحد المؤرخين المعاصرين الضوء على هذه المأساة قائلاً[٦٦]:

"إن سبعة وعشرين ألفًا من المسلمين قُتِلوا شنقًا، واستمرت المجزرة سبعة أيام متواليات لايُحصى من قُتِل فيها".

ومما لاشك فيه أن ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م قد أثرت على حياة المسلمين الثقافية والعلمية إلى أقصى حد، فكان تأثيرها عميق الجذور وبعيد المدى، فقد قضى الحكم البريطاني الاستعماري على النظام الإسلامي

للتعليم والتربية، وقام بتنفيذ نظام جديد للتعليم لايراعي إلا مصالح الحكومة البريطانية، وقامت بريطانيا بنقل كثير من العلماء، ونفي عدد كبير من المثقفين البارعين إلى جزر المحيط الهندي، وكان لهذا كله دوراً بارزاً في تخلف المسلمين في شتى المجالات بما فيها المجالات العلمية والثقافية والاقتصادية في الهند. ومنعوا من تولى المناصب الحكومية ومن المشاركة في سياسة البلاد.

ورغم أن ثورة عام ١٨٥٧م، كانت ثورة غير ناجحة إلا أنها كانت بداية جهد بطولي للقضاء على الاستعمار الأجنبي إشترك فيها جنود السيبوي والمدنيين في معظم أرجاء شمال الهند بالإضافة إلى وسط وغرب البلاد.

الملاحق: **ملحق "١"**



ملحق " ٢ "



ملحق " ٣ "



ملحق " ٤ "



هوامش البحث

١- انظر خريطة " ١ " ;

- K , Chaudhuri , The English East India Company , The Study of an Early Joint Stock Company 1600 – 1640 , London ,1956,P.42 – 43.

2. Henery beveridge ,A comprehensive History of India , New Delhi , 1978 , Vol. 1,P.310.
3. Jagdish Saran Sharma , 1nd , Since the Advent of the British Adescriptive Chronology from 1600 to Oct.2,1969 , Delhi 1970 ,Part 1, P. 16.
4. Ibid , p.18
5. Ramkrishna Mukherjee , The Rise and Fall of The East India company , Berlin 1958 , P.99.
6. John Bruce ,Annals of the Honorable East India company from their Establishment by the Charter of Queen Elizabeth 1600 , to the Union of the London and English East India Companies ,Vol.1, London 1808 ,P.557 – 558.
7. Ramakrishna Mukherjee,Op.Cit,P. 105 .

8. John Beauchamp, British Imperialism in India , London , 1934, P.27.
9. Henery Beveridge ,Op.Cit,P.310 ; Arund Wright ,Early English Adventuress in the East ,London, 1914,P.131 – 146.
10. Lock hart , Nadir Shah A critical Study Based Mainly Upon Contenporany Sources , London ,1938 ,P.155 – 162.
11. Henery Froidenanx "The French Factories in India"in the Cambridge History of India ,Vol.V,P.61 – 66.
12. G.A. Ballard, Rules of the Indian Ocean , London ,1927, P.248 – 259.
13. Ainslle Thomas Embree ,Charles Grant and British Rule in India ,London ,1962 , P. 46.
14. W.H. Moreland ,A short History of India ,London ,1944 , P. 272.
15. A. Mervyn Davies , Clive of Plassey , London , 1939 , P. 220-231.

١٦. انظر ملحق " ٢" ;
John Buchan ,ed. India , London , 1923 , P. 69 – 70.

17. Ainslle Thomas Embree , Op.Cit , P.54
18. W.H. Moreland , Op.Cit , P.272.
19. James A. Williamson , Ashort History of British Expansion , London ,1945 P.133 – 134.

٢٠. عبد العزيز عبد الغني، حكومة الهند والإدارة في الخليج العربي، دراسة وثائقية دار المريخ، الرياض ، ١٩٨١، ص ٣٦ .

21. J.W. Fortescue, A history of the British Army, Vol.2 ,London, 1899 , P. 193-196.
22. Nagendra Singh, The Theory of Force and Organization of the Defence in Indian Constitution History, London ,1969 , P. 181.
23. Ibid, P.181.
24. George Cheseny , India Polity , A view of the System Administration in India , London , 1894 , P. 205.
25. George Cheseny ,Op. Cit .
26. Ibid , P. 207 .

٢٧. صالح محمد العابد و موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي ،١٧٩٨ ١٨١٠ ، بغداد ، ١٩٧٩، ص ٨٤ .

28. Nagendra Singh , Op.Cit , P.183.
29. Ibid , P.185.
30. Nagendra Singh , Op.Cit , P. 188 .
31. Ibid , P.189 .

32. R.C. Majumdar ,ed , British Paramountcy ,Vol. IX , of the History and Culture of the Indian People, Bombay Bharatia Vidya Bhaven, 1965, P. 424.
33. Nagendra Singh, Op.Cit , P. 188.
٣٤. للتفاصيل انظر: الهام محمود كاظم ، ترسيخ واتساع السيطرة البريطاني في الهند ١٧٩٨-١٨٠٥، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، ١٩٩٨.
35. G.S. Chhabara , Advanced Study in the History of Modern India , Vol. 2 , 1813 – 1919 , New Delhi , 1971, P. 175.
36. J.W. Fortescue , A history of the British Army , P.200.
37. Rawlinson , The British Achievement in India , London , 1948, P.95 .
38. K.A. Sastri , Nilakanta , Advanced History of India Madras , 1970 , P.642.
39. Rawlinson , Op.Cit. P. 96.
40. R.C. Majumdar ,ed , British Paramountcy , P.79-81.
41. John Beauchamp, British Imperialism in India , P.26-29.
42. Ibid.
43. William Harrison Wood World , The Expansion of the British Empire 1500-1902 , Cambridge ,1907 , P. 318.
44. Chhabra , Op.Cit , P.179.
45. Ahmad Khan , Dr. Muin. UD. , The Great Revolt of 1857 in India and the Muslims of Bengal , Dhaka ,1938, P.34-40.
46. Sastri , Op.Cit. ,P. 644.
47. Ibid.
48. Rawlinson , Op.Cit. P. 98.
49. Sastri , Op.Cit. ,P. 670.
50. Rawlinson , Op.Cit. P. 99.
51. Sastri , Op.Cit. ,P. 671.
52. Ahmad Khan , Op.Cit. , P.41.
53. Ibid.
54. Ibid.
55. Sastri , Op.Cit. ,P. 670.
56. R.C. Majumdar, Op.Cit. , P.82.
57. Ibid.
58. Ibid .
59. R.P. Masian , British in India, Calcutta ,1962 , p.41.
60. Ahmad Khan , Op.Cit. , P.41.
61. Ibid.p44
62. Ibid.
63. R.P. Masian , British in India, Calcutta ,1962 , p.48 .
64. Nagendra Singh , Op.Cit , P. 188 .
65. Ahmad Khan , Op.Cit. , P.45.
66. Ibid .p46

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

١. الهام محمود كاظم، ترسيخ واتساع السيطرة البريطاني في الهند ١٧٩٨-١٨٠٥، أطروحة دكتوراه، جامعة الكوفة، ١٩٩٨.
٢. عبد العزيز عبد الغني، حكومة الهند والإدارة في الخليج العربي، دراسة وثائقية دار المريخ، الرياض ، ١٩٨١ .
٣. صالح محمد العابد و موقف بريطانيا من النشاط الفرنسي في الخليج العربي١٧٩٨ ١٨١٠ ، بغداد ، ١٩٧٩.

المصادر الأجنبية:

- **Ainslle Thomas Embree ,Charles Grant and British Rule in India ,London ,1962 .**
- **Ahmad Khan , Dr. Muin. UD. , The Great Revolt of 1857 in India and the Muslims of Bengal , Dhaka ,1938.**
- **Arund Wright ,Early English Adventuress in the East ,London, 1914.**
- **Ballard, Rules of the Indian Ocean , London ,1927.**
- **Chhabara , Advanced Study in the History of Modern India , Vol. 2 , 1813 – 1919 , New Delhi , 1971..**
- **Chaudhuri , The English East India Company , The Study of an Early Joint Stock Company 1600 – 1640 , London ,1956,.**
- **Fortescue , A history of the British Army , Vol.2 ,London , 1899**
- **George Cheseny , India Polity , A view of the System Administration in India , London , 1894**
- **Henery beveridge ,A comprehensive History of India , New Delhi , 1978.**
- **Henery Froidenanx "The French Factories in India"in the Cambridge History of India.**
- **Jagdish Saran Sharma , 1nd , Since the Advent of the British Adescriptive Chronology from 1600 to Oct.2,1969 , Delhi 1970**
- **John Bruce ,Annals of the Honorable East India company from their Establishment by the Charter of Queen Elizabeth 1600 , to the Union of the London and English East India Companies, Vol.1, London 1808**
- **John Beauchamp, British Imperialism in India , London , 1934**

- **John Buchan ,ed. India , London , 1923**
- **James A. Williamson , Ashort History of British Expansion , London ,1945**
- **Lock hart , Nadir Shah A critical Study Based Mainly Upon Contenporany Sources , London ,1938**
- **Moreland ,A short History of India ,London ,1944**
- **Mervyn Davies , Clive of Plassey , London , 1939**
- **Majumdar ,ed , British Paramountcy ,Vol. IX , of the History and Culture of the Indian People, Bombay Bharatia Vidya Bhaven, 1965**
- **Masian , British in India, Calcutta ,1962**
- **Nagendra Singh , The Thoery of Force and Organization of the Defence in Indian Constitution History, London ,1969**
- **Rawlinson , The British Achievement in India , London , 1948**
- **Ramkrishna Mukherjee , The Rise and Fall of The East India company , Berlin 1958**
- **Sastri , Nilakanta , Advanced History of India Madras , 1970**
- **William Harrison Wood World , The Expansion of the British Empire 1500-1902 , Cambridge ,1907**